

السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي

• خطة البحث:

وقد رتبت خطة البحث بعد المقدمة على وفق الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالموضوع:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسياسة الشرعية بصورة مختصرة.

المطلب الثاني: بين يدي السورة: نبذة مختصرة عن سورة النمل عن نزولها، وعدد آياتها، واسمها وترتيبها بين سور القرآن وما ورد فيها من العبر والفوائد والحكم، وأهم محاورها.

المبحث الثاني: الآيات السياسية المستنبطة من سورة النمل وحسب تسلسل ورودها في السورة والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المقدمة

أحمدك ربي حمداً يوافي نعمك ويكافئ مزيدك حمداً كثيراً طيباً يليق بجنابك على ما علمتنا من علم القرآن والسنة النبوية المشرفة، وأصلى واسلم على خير خلق الله سيدنا محمد .
وبعد؛ فلا يخفى على أحد أن القرآن الكريم هو دستور المسلمين إلى قيام الساعة وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ «كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم..».

نعم لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء من هنا نجد أنه كلما يأتي جيل جديد من العلماء يكتشف علومه وأفكاراً ومعجزات لم تكن معروفة في الجيل السابق، وهذا دليل على اعجازه.

ولقد حاولت أن أغور في كتاب الله تعالى وتحديداً في سورة النمل لأكتشف الآيات السياسية مستنبطاً منها الدروس والعبر عسى أن أقدم شيئاً ولو يسيراً للمكتبة الإسلامية.

ب- في الاصطلاح

سنعرف السياسة الشرعية كونها مركباً اضافياً من كلمتين السياسة والشرعية ثم نعرفها كونها مصطلحاً قائماً بذاته كالاتي:

١ - السياسة:

وردت عدة تعريفات للسياسة في قاموس المصطلحات السياسية منها^(٢):

١- السياسة: فن حكم الحاضرة (الدولة) بقصد بلوغ ما يعتبر كأنه الغاية العليا للمجتمع ، (علم حكم الدول)

٢- السياسة: مجموع الشؤون العامة (كالسياسة الداخلية، والسياسة الخارجية).

أما معجم مفاهيم التنمية فقد عرفها بأنها: (خطط عمل أو ممارسات توجه العمليات في قطاع أو مجال معين على الصعيد الوطني أو في الشركات وترتكز على أهداف إستراتيجية وتوجيهات حول كيفية تحقيقها خلال مدة معينة من خلال الأطراف المعنية الحكومية وغير الحكومية)^(٣)،

المصري (ط/ دار صادر، بيروت، د. ت) حرف السين فصل السين ١٠٧/٦ .

(٢) انظر: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، د. أحمد سعيقان (ط ١/ مكتبة لبنان، بيروت ، ٢٠٠٤م): سياسة ٢١٤ .

(٣) معجم مفاهيم التنمية، تأليف: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- الإسكوا- (ط / مؤسسة الصدر)، العلاقات الدولية، إعداد كارول شرباتي: سياسة ٤٤ .

المبحث الأول

التعريف بالموضوع

قبلولوج في المبحث الاساس (المبحث الثاني) لبحثنا الموسوم (السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل) نرى من الضروري أن نعرف بالموضوع ولو بصورة مختصرة، وعليه أرى أن دراسة هذا المبحث تستلزم توزيعه على مطلبين، يخصص الأول للتعريف بالسياسة الشرعية، أما المطلب الثاني: بين يديّ السورة، ويتناول التعريف بسورة النمل من حيث اسمها، وترتيبها بين سور القرآن، ومكان نزولها، وعدد آياتها، وفضلها، وأهم مقاصدها، ومحاورها، كالاتي:

المطلب الأول: التعريف بالسياسة الشرعية

المطلب الثاني: بين يدي السورة

• المطلب الأول: التعريف بالسياسة الشرعية

أ- في اللغة:

السِّيَاسَةُ القِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا يُصْلِحُهُ، وَالسِّيَاسَةُ فَعْلُ السَّائِسِ، يُقَالُ هُوَ يَسُوسُ الدَّوَابَّ إِذَا قَامَ عَلَيْهَا وَرَاضَهَا وَالْوَالِي يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ، وَالسَّائِسُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ سَاسَ يَسُوسُ فَهُوَ سَائِسٌ إِذَا أَحْسَنَ النَّظَرَ، وَسَاسَ الرَّكَّابَ الدَّابَّةَ أَحْسَنَ رِيَاضَتَهَا وَأَدْبَهَا، وَسُوسَ الرَّجُلُ أُمُورَ النَّاسِ عَلَى مَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ إِذَا مُلِّكَ أَمْرَهُمْ^(١).

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٦١

والسياسي: شخص يتعاطى السياسة، أو يتولى مسؤوليات سياسية والذي يبدو لي أن السياسة بصورة عامة ممكن أن نعرفها بقولنا: هي القيام بكل ما يتعلق بشؤون الدولة من جميع النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعلاقات الدولية بكل أشكالها وتفصيلها، ونحو ذلك.

٢- الشرعية: هي صفة للسياسة، وهي مأخوذة من لفظ (شَرَعَ) بمعنى بَيَّنَّ و سَنَّ، والشريعة بالكسر- الدين، والشريعة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة، والشريعة أيضا ما شرع الله لعباده من الدين، والشريعة الشريعة ومنه قوله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: الآية ٤٨].

٣- السياسة الشرعية كمصطلح قائم بذاته: عرف المعاصرون السياسة الشرعية بتعريفات كثيرة نكتفي بتعريفين:

أحدهما: السياسة الشرعية هي: (تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين)^(١) والآخر: (السياسة الشرعية: أحكام ونظم وقوانين تعالج بها أمور المسلمين من الناحية الدستورية والمالية والمدنية والأمنية وجميع مناحي الحياة

(٢) د. فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة، (ط ١/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ):

١٨٩ - ١٩٠

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ) (ط /الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ): ٢١٥/١٩

(١) السياسة الشرعية أو نظام الحكم في الإسلام، لعبد الوهاب خلاف (ط ٤ / مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م): ١٧.

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

٧٦٢ || أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي

قال رسول الله ﷺ: (من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله)^(٤). وكذلك حديث علي رضي الله عنه (يا علي من قرأ طس النمل أعطاه الله بكل سجدة يسجد بها المؤمنون ثواب المؤمنين كلهم، وله بكل آية ثواب المتوكلين)^(٥).

ح. أهم مقاصدها:

من المعلوم بدهاء أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مقصد، بل مقاصد، وأهم مقاصد سورة النمل نجمها بالآتي:

١. القرآن الكريم هداية للخلق أجمعين: قال البقاعي^(٦): (مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ).

تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (ط ١/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) : ١٨٨/٧.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ) المحقق: محمد علي النجار (ط/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة): ٣٥٢/١، وقال في فضل سورة النمل رويت فيها أحاديث ضعيفة لذا اكتفيت بما تقدم.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ) (ط/دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ -

ب. وترتيبها بين سور القرآن:^(١)

تقع سورة النمل في نهاية الجزء التاسع عشر وبداية الجزء العشرين من بين أجزاء القرآن الكريم الثلاثين، وهي السورة الثامنة والأربعون في عداد نزول السور نزلت بعد الشعراء وقبل القصص كذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وهي السابعة والعشرين في ترتيب المصحف ت. مكان نزولها:

وهذه السورة مكية بالاتفاق

قال القرطبي: (مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ)^(٢)

ث. عدد آياتها:

وهي ثلاث وتسعون آية وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً.

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - (وقد عدت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة خمساً وتسعين، وعند أهل الشام والبصرة والكوفة أربعاً وتسعين)^(٣).

ج. فضلها:

لم أجد من خلال بحثي أحاديث صحيحة في فضل سورة النمل، وكل ما وجدت ما ذكره بعض المفسرين عن الصحابي الجليل أبي بن كعب قال:

(١) المصدر السابق

(٢) (الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط ٢/ دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤): ١٥٤/١٣.

(٣) المصدر السابق

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٦٣

لهداية الخلق أجمعين ، بالفصل بين الصراط المستقيم ، وطريق الحائرين ، والجمع لأصول الدين ، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين وبشارة المؤمنين ، ونذارة الكافرين ، بيوم اجتماع الأولين والآخرين...).

٢. ابراز صفة العلم: جاء في ظلال القرآن: (وهكذا تبرز صفة العلم في جو السورة تظللها بشتى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام. ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل، حسب تتابعه الذي أسلفنا)^(١).

ويؤكد ذلك البقاعي فيقول: (كل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة كما كان مقصود التي قبلها- الشعراء - إظهار البطش والنقمة ، وأدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير ، وسداد المذاهب في العيش ، ولا سيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة ، وحسن التعبير عن ذلك القصد ، وبلاغة التأدية)^(٢).

ومن المقاصد الاخرى^(٣)

٣. في السورة حملة تقريع على الكفار وحكاية

١٩٩٥م): ٤٠٥/٥.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) (ط١٧/دار الشروق، بيروت- القاهرة- ١٤١٢هـ): ٢٦٢٥/٥.

(٢) نظم الدرر للبقاعي: ٤٠٥/٥.

(٣) التفسير الحديث محمد عزت دروزة (ط/ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣هـ): ٢٧٩/٣.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم للاستاذ الحكيم الطنطاوي (ط ٢/ مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٥٠هـ): ١٢٨/١٣ نقلاً عن اطروحة سورة النمل لعبد الله أسود: ٢٣.

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

٧٦٤ || أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي

خ. محاورها^(١):
اللله ووحدانيته من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه.
قال الشيخ الصابوني^(٢): (سورة النمل هي إحدى
المحور السادس: أشراف الساعة وساقط بعض
سور ثلاث نزلت متتالية ووضعت في المصحف
الاهوال والمشاهد الرهيبة التي يراها الناس يوم
متتالية وهي الشعراء والنمل والقصص ويكاد يكون
الحشر، والناس قسمان : السعداء والاشقياء.
منهاجها واحداً في سلوك مسلك العظة والعبرة عن
طريق قصص الغابرين).

* * *

أما أهم المحاور في سورة النمل فهي:

المحور الأول: أصول العقيدة (التوحيد، الرسالة،
البعث)

المحور الثاني: معجزة سيدنا محمد ﷺ وحجته
البالغة الى يوم الدين

المحور الثالث: أوجزت قصص ثلاثة أنبياء هم:
(موسى، وصالح، ولوط) عليهم السلام وركزت
على ما نال أقوامهم من العذاب والنكال بسبب
تكذيبهم لرسولهم.

المحور الرابع: فصلت قصتي داود وسليمان عليهما
السلام وما خصهما الله من الفضل الكبير بالجمع
بين النبوة والملك الواسع

المحور الخامس: الدلائل والبراهين على وجود

(١) أنظر: صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني
(ط١/دار الصابوني، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م):
٣٦٧/٢، سورة النمل دراسة تحليلية لعبد الله أسود خلف
الجوالي وهي أطروحة مقدمة لجامعة بغداد سنة ٢٠٠٣ م):
٢٠-١٩.

(٢) أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية، مكة
المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز، انظر صفوة التفاسير:
٣٦٧/٢.

(١٥) من القصة كالاتي:

الآية ١٥: (وفيها بيان فضل العلم لولي الامر).....
قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التَّمْل الآية ١٥].

قال القرطبي^(١): قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [التَّمْل الآية ١٥] أي فهما وقيل: علما
بالدين والحكم وغيرهما، وإنما الذي آتاهما الله
النبوة والخلافة في الأرض والزبور... ثم قال:
وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافه محله
وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم
وأجزل القسم.

وقال ابن كثير -رحمه الله- (يخبر تعالى عما أنعم
به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان، عليهما من
الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة،
والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا
والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة
والرسالة في الدين..)^(٢).

ومعنى قوله تعالى: وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
[التَّمْل الآية ١٥] بالنبوة والكتاب، وإلانة الحديد،
وتسخير الشياطين والجن والإنس، عَلَى كَثِيرٍ مِنْ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٣/١٣ - ١٦٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن
كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،
المحقق: سامي بن محمد سلامة (ط ٢/ دار طيبة للنشر
والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م) ١٨١/٦.

المبحث الثاني

الآيات السياسية المستنبطة

من سورة النمل

تقدم معنا في المبحث الثاني أن من أهم مقاصد
سورة النمل: العلم والسياسة وبهما تنهض الأمة،
لذا فإننا سنركز البحث عن آيات السياسة الشرعية في
أنموذجنا المختار، وهو سورة النمل، وتحديدًا في
قصتي داود وسليمان عليهما السلام، ونسلط الضوء
عليها من خلال أقوال المفسرين قديما وحديثا،
وكذلك قول أهل الفن (فن السياسة) ونزلها على
الواقع المعاصر وحسب تسلسل ورودها في السورة،
وكذلك توضيح الكثير من الدروس السياسية التي
يجب على المسلمين أن يلتزموا بها اليوم من اجل
حياة طيبة لهم ولشعبهم... ومن الجدير بالذكر أن
قصتي النبيين الجليلين داود وسليمان - عليهما
السلام - قد شغلت حيزاً واسعاً من سورة النمل،
إذ بدأت السورة تتحدث عنهما من الآية (١٥) الى
نهاية الآية (٤٤) وفضلاً عن ذلك فان القرآن الكريم
قد فصل الحديث عنهما في عدة سور أخرى،
وهذا يدل على مكانتهما وفضلهما وعلو منزلتهما،
ولأنهما جمعا بين النبوة والملك... ولنبدأ بعون
الله تعالى بتفسير هذه الآيات مستنبطين أهم ما فيها
من دروس السياسية الشرعية مستهلين ذلك بالآية

عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وجه السياسة الشرعية من الآية:

كان آتاه الله في حياته، والملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه.

١. للعلم فضل ودور مهم لولي الامر في معرفة

قال الواحدي^(٣): (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) نبوته وعلمه وملكه، قال قتادة: كان لداود تسعة عشر ذكراً، فورث سليمان ملكه من بينهم ونبوته. فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه، ولو كان وراثته مال لكان جميع أولاده فيه سواء، ولقسمته على العدد، فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة، وزاده من فضله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

حكم الله، وتنفيذ أوامره، وبيان شريعته، ودعوة الناس إليها، والزام الناس بها، وبالعلم يمكن له ادارة الدولة بصورة عادلة.

٢. شكر الحاكم لنعمة الله من أهم أسباب بقائها وزيادتها بدليل قوله تعالى ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمَ الآية ٧] والشكر: هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع للمنعم.

قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكاً وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمى ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قول النبي ﷺ: (... العلماء ورثة الأنبياء...) (٤)

وقد حكي عن داود ﷺ أنه قال: يا رب، كيف أشكرك ولم أؤد شكرك إلا بنعمة جديدة عليّ. فقال: يا داود، الآن شكرتني^(١).

الآية (١٦) وفيها: وراثه النبوة والعلم والملك

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل الآية ١٦].

الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة (ط ١/ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ٢٤/١٨.

قال الطبري^(٢): ورث سليمان أباه داود العلم الذي

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي (ط ١/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م): ٣/ ٣٧٠.

(١) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (ط ١/ دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م): ٣/ ١٠٥.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات

(٤) سنن ابن ماجه: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣ هـ) (ط/ دار الفكر - بيروت) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٦٧

ويحتمل قوله ﷺ: (إنا معشر الأنبياء لا نورث)^(١) أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم، وكان سليمان أعظم ملكا من داود وأفضى منه، وكان داود أشد تعبدا من سليمان، ولم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلغ ملكه، فإن الله سبحانه وتعالى سخر له الإنس والجن والطير والوحش، وآتاه ما لم يؤت أحدا من العالمين، وورث أباه في الملك والنبوة، وقام بعده بشريعته..

وجه السياسة الشرعية من الآية

أي: جمع له كل صنف من جنده على حدة، وهذا كان في مسير له، فهم يوزعون، أي: يحبس أولهم على آخرهم، وأصل الوزع: الكف والمنع. يقال: وزعت الرجل، أي: كفته، ووزع الجيش: الذي يكفهم عن التفرق، ويرد من شذ منهم^(٢).
والحشر: الجمع. يقال: حشر القائد جنده إذا جمعهم لأمر من الأمور التي تهمه.
وجه السياسة الشرعية من الآية

١. يحق لولي الامر ان يورث حكمه لمن يراه مناسبا من أبنائه، شريطة أن يكون مؤهلاً وكفئاً لذلك، لا، لأجل أنه ابنه وحسب، كما وجدنا ذلك واضحاً في تاريخنا، ونراه اليوم أيضاً من توريث بعض الحكام لأولادهم الغير مؤهلين لقيادة قطيع غنم فضلاً عن قيادة أمة.

١. من الضروري للقائد أن يقوم بجمع جنوده يتحدث معهم ويقوي عزائمهم، وأن يستعرض كل الاصناف ليكون على بينة من قوة جيشه وليطلع على مطالب جنوده في فترة السلم ليكونوا على أهبة الاستعداد في حال تعرض دولتهم لأي عدوان.

٢. من الضروري أن يكون ولي الامر عالماً بلغات ولهجات شعبه - إن كانوا مختلفين كما في عراقنا حماء الله فقط اللغات الرئيسة عندنا ثلاث هي: العربية والكردية والتركمانية فضلاً عن

٢. حرص القائد على منع جنوده من التفرق، وإرسال رسالة واضحة لهم بأنهم يد واحدة وان اختلفت

والأحاديث مذيبة بأحكام الألباني عليها: ٨١ / ٢ برقم (٢٢٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي (ط ١ / دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٢٢ هـ): ٣ / ٣٥٦.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي (ط ١ / مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م): ١٦ / ٢٤ برقم (٩٩٧١)

صنوفهم، فضلاً عن ذلك فان تفرق الجيش تكون نتائجه سلبية.

الآيات (١٨ - ١٩) وفيها: اصغاء الحاكم لاتباعه متبسماً.. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل من الآية ١٨ الى الآية ١٩].

جاء في تفسيرها: (لقد سار الموكب. موكب سليمان من الجن والإنس والطيور. في ترتيب ونظام، يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه. حتى إذا أتوا على واد كثير النمل، قالت نملة: لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي - ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدي كلها بنظام عجيب، يعجز

البشر غالباً عن اتباع مثله، على ما أتوا من عقل راق وإدراك عال - قالت هذه النملة للنمل، بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل، وباللغة المتعارفة بينها. قالت للنمل: ادخلوا مساكنكم، كي لا يحطمنكم

سليمان وجنوده. وهم لا يشعرون بكم، فأدرك سليمان ما قالت النملة وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت، وبمضمون ما قالت. هش لما

قالت كما يهش الكبير للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه وهو لا يضمّر أذاه. وانشرح صدره لإدراكه.

فهي نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن الناس لاستغلاق التفاهم بينها وقيام الحواجز. وانشرح صدره له لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع! أدرك سليمان هذا «فتبسم ضاحكاً من قولها» .. وسرعان ما هزته هذه المشاهدة، وردت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي... الآية». «وأوزعني» اجمعني كلي. اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي، وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي. اجمعني كلي. اجمع طاقات كلها. أولها على آخرها وأخرها على أولها (وهو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني) لتكون كلها في شكر نعمتك علي وعلى والدي^(١)

وجه السياسة الشرعية من الآيتين:

١. تبسم سليمان - عليه السلام - لكلام النملة هو بمثابة تبسم الحاكم العادل للضعيف، الضعيف الذي يرجو النجاة والخلاص دون أن يلحقه الأذى من الحاكم.

٢. على الحاكم أن يتبسم في وجه الرعية كبيرها وصغيرها، قويها وضعيفها، فقيرها وغنيها، حاضرها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٦٣٦/٥ - ٢٦٣٧ (أنظر: موقع منتدى منتديات عالم الرومانسية على شبكة الانترنت بتصرف ٨).

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٦٩

وغائبها، لا أن يتسم للحاشية، ويكشّر ويتهجم للرعية التي لا حول لها.

٣. التزام القائد بأخلاق الحرب، فجيوش سليمان على كثرته وقوته تجنب وادي النمل وليس بيوت المدنيين الآمنين، كما نرى اليوم في الحروب القذرة التي لا تفرق بين مدني وعسكري فالكل معرض للقتل والابادة.

٤. واخلاق الحرب في ديننا يوضحها لنا الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه فعندما أرسل جيوشاً الى الشام أوصاهم فقال لهم: (لا تقتلوا كيبرا هرما، ولا امرأة، ولا وليدا، ولا تخربوا عمراننا، ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغدر، ولا تمثل، ولا تجبن، ولا تغلل...) (١).

الآيتان (٢٠-٢١) وفيهما: تفقد الرعية، وسمة الحزم والعدل ثم التريث في اتخاذ القرار قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأَعَدِّبَنَّهٗ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُٗ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل الآية ٢٠ الى الآية ٢١] (فها هو ذا الملك النبي. سليمان. في موكبه الفخم الضخم. ها هو ذا يتفقد الطير

فلا يجد الهدهد. ونفهم من هذا أنه هدهد خاص، معين في نوبته في هذا العرض. وليس هدهدا ما من تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد. كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم. فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطيور، الذي يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق وينتكث).

وجه السياسة الشرعية من الآيتين:

١. يتعين على القائد أن يكون حازما مع جنده ولا يسمح لأحد بتجاوزه، لكي لا يتمادى الجند ويتصرفون كما يحلو لهم لذا نجده هدد فقال: «لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه».

٢. وبعد الحزم عليه أن يترث في اتخاذ القرار، ويسمع للمخطئ حجة غيابه وخروجه بغير إذن، ويتبين له عذره، لذا نجده بعد تهديده للهدهد تريث (استثنى) فقال ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ [النمل الآية ٢١] ومن هنا تبرز سمة القائد العادل الواثق بنفسه.

الآيات (٢٢-٢٨) وفيها شعور الجندي بالمسؤولية، وتريث القائد باتخاذ القرار. قال تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحُطُ بِهِٗٓ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبُّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ

١) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا (ط ٣/ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م): ١٥٣/٩ برقم ١٨١٥٠.

مملكة وارساله بكتاب وانتظاره جوابهم، وهذه صفة مهمة للقائد حتى لا يتخذ قراراً مستعجلاً وقد يكون هذا القرار خطأ فيندم عليه أو قد يؤدي الى كارثة تصيب رعيته فالتريث والحلم من أهم صفات ولي الامر.

٣. شعور الهدهد بالمسؤولية وهذه ضرورة لكل جندي وموظف أن يقوم بعمله على الوجه الأكمل وهذا يتضمن تحمل المسؤولية، المبادرة، اليقظة والانتباه، الولاء والانتماء، والتضحية وإنكار الذات. الآيات من (٢٩-٣٢) وفيها حكمة الملكة والشورى... قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [التل من الآية ٢٩ الى الآية ٣٤].

ينقل لنا ابن كثير^(٢) عن الحسن البصري قوله: (وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، فجاء الهدهد إلى قصرها وقت الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها ثم تولى عنها أدبا ورياسة فتحيرت مما رأت وهالها ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلقو علي وأتوني مسلمين»).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير مصدر سابق:

أَلْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التل من الآية ٢٢ الى الآية ٢٨]

قال ابن كثير^(١): فَمَكَثَ «الهدهد» «غَيْرَ بَعِيدٍ» أَي غَابَ زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ «أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ» أَي أَطَّلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ «وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ» أَي بِخَبَرٍ صِدْقٍ حَقِّ يَقِينٍ وَسَبَأُ هُمْ حَمِيرٌ وَهُمْ مُلُوكُ الْيَمَنِ، وَذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ كِتَابًا إِلَى بَلْقِيسَ وَقَوْمَهَا وَأَعْطَاهُ ذَلِكَ الْهَدَّهْدَ فَحَمَلَهُ قَيْلٌ فِي جَنَاحِهِ كَمَا هِيَ عَادَةُ الطَّيْرِ وَقَيْلٌ بِمَنْقَارِهِ وَجَاءَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَكَانَتْ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَأْرَبٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ صَنْعَاءَ.

وجه السياسة الشرعية من الآيات

١. نبي الله سليمان كان قائدا مميزاً لأن أحد رعيته وهو الهدهد شعر بالمسؤولية، وخرج يدعو الى دين الله من غير توجيه، وفي هذا المجال يقول المتخصصون في التنمية البشرية أن القائد المميز فهو الذي يجعل الآخرين يثقون بأنفسهم، وهذا ما حصل للهدهد.

٢. تريث القائد في اتخاذ القرار وذلك بقوله (فمكث غير بعيد) وتريثه فيما نقله الهدهد بقوله (سننظر...).

ثم تريثه في عدم التسرع باتخاذ قرار الهجوم على

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٠٢/١٠ - ٤٠٣.

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٧١

بديلا عن الشورى بالظاهر، لكن حقيقة البرلمان ليس كذلك، ففيه مجاملات ومحاباة وكل حسب توجهه وحزبه ومذهبه وعشيرته.

الآية (٣٣) وفيها: وضع الحقيقة امام القائد، وتفويضه. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَ قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل الآية ٣٣].

قال ابن كثير^(١): فلما أحالت الامر إليهم منوا إليها بعدددهم وعدتهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين أي نحن ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربه فنحن معك.

قال الدكتور صلاح الخالدي^(٢): وقد دل سؤالها لأهل المشورة على حسن سياستها وحكمتها في تسيير أمور الدولة وحل المشكلات التي تفترضها، وان حكمها ليس فردياً استبدادياً ولكنه يقوم على المشورة وحسن السياسة.

فقه السياسة الشرعية من الآية:

١. من الامور التي قد تكون سببا للانتصار على الخصم، وضع الحقيقة أمام القائد ليكون على بينة من أمره، وهذا ما فعله أهل مشورتها، ثم فوضوا الامر إليها وكانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر

قلت: ولم تتصرف بالأمر ولم تتخذ قرارا بل جمعت وجه السياسة الشرعية من الآيات

١. صفتان واضحتان تمثلتا في تصرف ملكة سبأ، وهما (الحكمة، ومبدأ الشورى) فما ان قرأت كتاب سيدنا سليمان - عليه السلام - لم تتصرف ولم تقطع أمرا لوحدها، بل قامت مباشرة بجمع أهل الحل والعقد، أهل المشورة - وكانوا عددهم (٣١٢) رجلاً وكل رجل تحت قيادته عشرة آلاف رجل - وعرضت عليهم الامر وطلبت منهم الرأي بدون مجاملة ومحاباة، لا كما نرى اليوم من صفة المجاملة للمقربين من رئيس الدولة أو من بيده الامر، فنجد وللأسف صفة النفاق واضحة، ولا أحد يجروء على الاعتراض على أي قرار للحاكم، وان يقن أنه خطأ، كل ذلك من أجل أن يبقى في منصبه، مع ان النبي ﷺ يقول (...ألا لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر...)^(١).

٢. الشورى مبدأ اسلامي وهذا ما أقدمت عليه ملكة سبأ وأجمل ما في ذلك أن كل رجل من رجالها تحت قيادته عشرة آلاف رجل يجمعهم بكلمة واحدة وهذه من روائع سياساتها، ونحن اليوم بأمس الحاجة لمبدأ الشورى، قد يكون البرلمان اليوم

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير مصدر سابق: ٦/ ١٧١.

(٣) انظر: التفسير المنهجي، د. صلاح الخالدي (ط ١) دار المنهل، عمان، ٢٠٠٥: ١٥٢/٧.

(١) بعض من حديث أخرجه الامام أحمد في مسنده برقم (١١٣١٢)، انظر: مسند أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، (ط ١) جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٣١ هجرية، ٢٠١٠ م: ١٧٣٥/٤.

وأنه ان دخل عليهم عنوة فسيفسد في المملكة ويقتل ويخرب ويهلك الحرث والنسل، ولمعرفتها كذلك بويلات الحرب وان الحرب ستؤدي الى كثرة الأرامل والايتام والفوضى أظهرت المصالحة، لا كما يفعل البعض اليوم من ولاة الامور يغامرون بجنودهم وشعوبهم وأمن بلادهم من لا شيء.

٢. قامت الملكة باختيار هدية ثمينة تليق بمقام الملوك، وارسلت وفدا رفيع المستوى الى الملك سليمان، وارسال الهدية للخصم فيه دلائل كثيرة منها: جس نبض العدو، ومعرفة حديثه للحرب، وأن الهدية قد تكون سبباً لحقن الدماء والعيش بسلام وأمان، ونحن مأمورون بتقديم الهدية فيما بيننا امثالاً لقول رسول الله ﷺ: (تهادوا فإن الهدية تذهب وجر الصدر).^(١)

الآيات (٣٦ - ٤٤) وفيها: منطلق القوة، وقوة المنطق... قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَا اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ١٤١/١٥ برقم (٩٢٥٠).

سليمان، لما رآته هدهده وقضية كتابه

٢. ابراز القوة أمام الخصم أمر مهم، ونحن اليوم بأمس الحاجة اليها، فعندما يعلم الخصم أننا أقوياء لا يجرؤا على محاربتنا، لذا أمر الله تعالى بإعداد القوة بكل أنواعها: العسكرية والسياسية والاقتصادية ونحوها فقال أصدق القائلين: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال الآية ٦٠] ورسول الله ﷺ يعلمنا اظهار القوة أمام الاعداء فعندما رأى (.. أبا دجانة يوم أحد أعلم بعصاة حمراء فنظر إليه وهو مختال في مشيته بين الصفين فقال : إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع)^(١).

الآيتان (٣٤ - ٣٥) وفيها: تقديم السلم على الحرب وجس نبض المقابل... قال تعالى ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا آدِلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل من الآية ٣٤ الى الآية ٣٥].

فقه السياسة الشرعية من الآيتين:

١. فبعد أن علمت قوة جيشها واستعدادهم للتضحية من أجل مملكتهم، مالت بحكمتها الى المسالمة والمهادنة، وذلك لمعرفة قوة الخصم،

(١) المعجم الكبير - الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي (ط ٢/مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ١٤٠٤ - ١٩٨٣): ١٠٤/٧ برقم ٦٥٢٣.

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٧٣

٣. إن قصة بلقيس تدلنا على أنها كانت أمة ذات مدينة عريقة، ومن ثم فقد أراها سليمان في أنها أمام مدينة أعرق وأعظم فخضعت... وهذا درس عظيم نأخذه من سليمان يفيدنا اليوم أن المدينة الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيات^(٢).

قلت: يجب علينا أن نخاطب العالم بلغتهم، وإلا سيؤدي تخلفنا هذا الى اعراضهم من الدخول بديننا، فالغرب اليوم أكثر تطوراً وتفوقاً منا على جميع المستويات، فحري بنا أن نطور أنفسنا سيما في مجالات الشهادة (المشاهدة) لا الغيب.

٤. شكر النعمة قد يكون سبباً لبقائها وكفران النعمة يؤدي الى زوالها فشكر سليمان ربه بقوله ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [التل الآية ٤٠].

٥. ملكة سبأ راعها منظر الصرح الممرد وعلمت أن ملكها لا يساوي شيئاً بجوار ملك سليمان فأسلمت وخضعت هي وقومها، وفي هذا رسالة للدول الإسلامية الغنية فإن بإمكان حكومتها أن تقدم اسلاماً حضارياً مدنياً بعيداً عن التخلف والفقر.

قلت: وأخيراً أقول ان الغور في كتاب الله تعالى يهدينا الى الكشف عن اللؤلؤ والمرجان وهذا ما لمستته من خلال أنموذجنا سورة النمل، وكلمة لا بد أن أقولها: هذا ما فتح الله عليّ وقد يفتح الله عليّ

ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل

من الآية ٣٦ الى الآية ٤٤]

فقه السياسة الشرعية من الآيات:

١. إن رفض سليمان الهدية فيه رسالة لملكة سبأ على أنه ليس ملكاً من ملوك الارض يقبل الرشوة ليغض الطرف عنهم وعن ما يعبدون من دون الله، وفي هذا درس لكل زعيم وكل قاض وكل مصلح أن لا يقبل بالرشوة من أهل الباطل ليسكت عن ظلمهم وفسادهم في الارض^(١).

٢. أثبت سليمان بلقيس أنه نبي ملك وأن الله قد سخر له من المعجزات الكثير وذلك من خلال جلبه لعرش بلقيس، وفي هذا درس لأولياء الامور في كل عصر بإيصال رسالة للعدو بامتلاكنا للأسلحة المتطورة النظرية لما يمتلكون.

(١) أنظر: روح المعاني تفسير جزئي الفرقان والنمل

لعفيف عبد الفتاح طيارة (ط ٣/دار الكتب للملايين، بيروت، ٢٠٠٥): ١٣٢ بتصرف.

(٢) الاساس في التفسير، سعيد حوى (ط ٢/دار السلام، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م): ٤٠١٦/٧.

أو على غيري من الباحثين ليغور في سورة النمل
مرة أخرى ويخرج ما لم أعلمه أو أجده وفوق كل
ذي علم عليم..... والله تعالى أعلم بالصواب.

الخاتمة

بعد أن منّ الله علينا بالانتهاء من بحثنا الموسوم
السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل أسجل هنا
أهم ما توصلت إليه من نتائج.



١. القرآن الكريم مليء بالآيات السياسية التي
نحتاج إليها اليوم وأوصي الباحثين الاهتمام بهذه
الآيات والغور في كتاب الله تعالى لاستخراجها
وانزالها على الواقع.

٢. الاسلام دين شامل لكل المجالات ومنها
المجال السياسي.

٣. العلم وسياسة العدل من أهم الاركان التي تكون
سبباً في بقاء الملك.

٤. تعلم لغة الشعوب اسلوب ناجح في الاطلاع
على ما يعرض من مشاكل.

٥. أمتاز سيدنا سليمان بمنطق القوة وقوة المنطق.

٦. الحكمة ضالة المؤمن وقد تميزت ملكة سبأ بها.

٧. اللجوء الى السلام أفضل من الدخول في حرب
قد تؤدي الى كارثة.

٨. يجب على الزعيم أن يتقن أخلاق الحرب.

والله تعالى أعلم بالصواب

وصلى الله على سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



المصادر والمراجع

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط ٢/ دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤).
- ١ — لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ط/ دار صادر، بيروت، د. ت) ٢ — قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، د. أحمد سعيان (ط ١/ مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م).
- ٣ — معجم مفاهيم التنمية، تأليف: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- الإسكوا- (ط/ مؤسسة الصدر)، العلاقات الدولية، إعداد كارول شرباتي.
- ٤ — السياسة الشرعية أو نظام الحكم في الإسلام، لعبد الوهاب خلاف (ط ٤/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- ٥ — النظام الإسلامي في السياسة، تأليف د. فتحي الدريني (ط ١/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م).
- ٦ — التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) (ط/ الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ).
- ٧ — الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، بعد القرآن الكريم كان الاعتماد في محتويات هذا البحث على المصادر والمراجع المتنوعة الآتية:
- ٨ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (ط ١/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- ٩ — بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار (ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة).
- ١٠ — نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي. بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١١ — في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) (ط ١٧/ دار الشروق، بيروت- القاهرة- ١٤١٢هـ).
- ١٢ — التفسير الحديث محمد عزت دروزة (ط/ دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ).
- ١٣ — الجواهر في تفسير القرآن الكريم للاستاذ

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

٧٧٦ || أ.د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي

- الحكيم الطنطاوي (ط ٢ / مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٥٠ هـ)..
- ١٩ — الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي (ط ١ / دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)..
- ٢٠ — زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي (ط ١ / دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٢٢ هـ)..
- ٢١ — موقع منتدى منتديات عالم الرومانسية على شبكة الانترنت)..
- ٢٢ — السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا (ط ٣ / دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)..
- ٢٣ — مسند أحمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني، (ط ١ / جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٣١ هـ جرية، ٢٠١٠ م)..
- ٢٤ — التفسير المنهجي، د. صلاح الخالدي (ط ١ / دار المنهل، عمان، ٢٠٠٥)..
- ١٤ — صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني (ط ١ / دار الصابوني، القاهرة، ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧ م).
- ١٥ — سورة النمل دراسة تحليلية لعبد الله أسود خلف الجوالي وهي أطروحة مقدمة لجامعة بغداد سنة ٢٠٠٣ م).
- ١٦ — تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة (ط ٢ / دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- ١٧ — تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (ط ١ / دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
- ١٨ — تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر..
- الدكتور عبد السند حسن يمامة (ط ١ / دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ -

«السياسة الشرعية في ضوء سورة النمل»

أ. د. صلاح الدين محمد قاسم النعيمي || ٧٧٧

٢٥— المعجم الكبير - الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي (ط٢/مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣، ١٤٠٤).

٢٦— روح المعاني تفسير جزئي الفرقان والنمل لعفيف عبد الفتاح طيارة (ط٣/دار الكتب للملايين، بيروت، ٢٠٠٥).

٢٧— الاساس في التفسير، سعيد حوى (ط٢/دار السلام، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م).



